İSLAMİ İLİMLER ARAŞTIRMA VAKFI

MİLLETLERARASI TARİHTE VE GÜNÜMÜZDE ŞİİLİK SEMPOZYUMU

(Tebliğler ve Müzakereler)

International Symposium on al-Shiism Throughout History and Today

الندوة العلمية الدولية حول الشيعة

عبر التاريخ وفي يومنا

BU KİTAP

İSAV

İSLÂMİ İLİMLER ARAŞTIRMA VAKFI
TARAFINDAN HAZIRLANMIŞTIR

13 -15 Şubat 1993
13-15 February 1993
İSTANBUL

İLMÎ NEŞRİYAT 11
İSLÂMİ İLİMLER ARAŞTIRMA VAKFI
TARTIŞMALI İLMÎ TOPLANTILAR DİZİSİ 17

Tebliğ ve Müzakerelerin Bilim ve Dil Bakımından Sorumluluğu
Konuşmacılara Aittir.

Kâmilpaşa Sok. No: 7/1 Fatih/İST.- 34260
Tel: 631 74 32 - 523 54 57 Fax: 523 15 85

1. Baskı - 1993, İstanbul

Baskı: Polat Ofset ve Ambalaj San. Ltd. Şti.
501 62 56 - 57 Fax: 501 46 45

التصوف عند الشيعة

(ملخص البحث)

الأستاذ المساعد الدكتور

سليمان ألوداغ

للتصوف مكانة اجتماعية خاصة في الفكر الإسلامي، و موقفه بين المذاهب الإسلامية جدير بالابحاث و الدراسات، وقد كانت الدراسات تكشف على علاقة التصوف بالإسلام عامة وبأهل السنة خاصة، ولعل سببه يعود لتأثير المفرطين من الشيعة الغلاة الباطنيين الذين كانوا يقفون ويبحثون منذ أمدٍ بعيد في تأثيرات أهل السنة على التصوف. إلاّ انه في الآونة الأخيرة بدأت الدراسات والأبحاث تزداد و تتوسع على تأثيرات الطوائف الشيعية الباطنية على التصوف.

فلأجل فهم ماهية التصوف عند الشيعة وتأثيراتهم على التصوف، يجب التوصل على معنى التشيع ومتى تشكل وتحت اي الظروف والمؤثرات ترعرع. فنحن نقصد بالشيعة الطوائف الذين يفضلون الإمام علي رضي اللّه عنه وعائلته وأهل بيته وأحفاده من أئمة الشيعة على غيرهم تفضيلاً عظيماً فوق الحد ويفردونهم بالأفضلية بين البشرية، ويرون وجوب اسناد حكم وادارة المجتمع الى هؤلاء. وينبغي تقسيم هذه الطوائف الى قسمين قسم معتدل وآخر مفرط (طوائف غلاة الشيعة الباطنيين) فمن المعتدلين الزيدية والإمامية الإثنى عشرية والجعفرية ومن المفرطين الإسماعيلية (سبئية، باطنية) والقرامطة والمؤلّهة، فلأجل فهم مكانة التصوف في الشيعة ينبغي علينا القيام لمثل هذا التقسيم. ومع أن هناك مفرطين من الإمامية الى جانب المعتدلين من الإسماعيلية إلا أنه سوف لا يؤخذ في اطار هذا المقال مثل هذا التقييم بنظر الأعتبار، ومن الجدير بالذكر ايضاً ان المذاهب الشيعية المعتدلة تماماً هي مثل المذاهب السنية تعد المفرطين من مذاهبها باطلة خارجة عن الشريعة. ومع هذا لا تعد السنيون والشيعة المعتدلون ايٌّ منهما الآخر خارجة عن الشرع بصورة مطلقة، بل تعد كلٌ منهما الآخر ضمن موازين معلومة مسلماً.

ومن جانب آخر ان الطوائف والحركات التصوفية تنقسم الى قسمين قسم شرعي وآخرغير شرعي ، فالطوائف الغير الشرعية موجودة منذ القرن الثاني والثامن والتي تعرف على الأكثر بأسم الإباحية،

وقد كانت طوائف العهد الأول من أهل التصوف يشتكون منهم ايضاً، ويمكن ملاحظة مثل هذه الشكايات والإتهامات في لمع السرّاج، ورسالة القشيري وفي كشف المحجوب للهجوري ، وقد عد علماء الشريعة من اهل السنة والشيعة المعتدلين، المفرطين من الطوائف التصوفية غلاةً صوفية، وردهم المعتدلون من اهل التصوف وعدوهم إباحيين.

فيجب أخذ هذين القسمين من اهل التصوف بنظر الإعتبار اثناء دراسة التصوف عند الشيعة دوماً. وذلك لأن مذهب الزيدية قد بقيت منذ التاريخ بعيدة عن التصوف عدا بعض الإستثناءات القليلة، وكانت الشيعة الإمامية على نفس المنوال قبل ثلاثة او اربعة عصور، فعلاوة على هذا ان العلاقة بين الشيعة المفرطين واهل التصوف المفرطين متميزة ايما تميز، فمثلاً ان الباطنية وعقيدة الحلول عند الإسماعيلية والقرامطة وحتى عند اخوان الصفا الذين يعد منتسبوهم من الإسماعيلية، قد اكسبتهم ميزة سرية تصوفية، لذا نرى تأثير هؤلاء على بعض المتصوفين. فيقول الذهبي ان هناك عبارات مأخوذة من القرامطة والباطنيين الزنادقة في التفسير السلمي المتوفى سنة ٤١٢ – ١٠٢١ (السيوطي، الإتقان، القاهرة ١٩٥١،ج ١ ص١٨٤) وأهمية هذه الحالة تنحصر في إجتياز هذه الوضعية المتصوفين المفرطين وأثره على المتصوفين المعتدلين، بيد أن أسناد تلك العبارات الموجودة في تفسير السلمي الى القرامطة والإسماعيلية معرضة للنقد والمناقشة، إلا أنه هناك تشابه في العبارات، وهذه حقيقة. وقد تكررت نفس الإدعاءات لحسين بن منصور الحلاج (٣٠٩– ٩٢١) في علاقته مع القرمائيين.

ومهما تكن الوضعية، لم تعتبر الإسماعيلية والقرامطة والمؤلّهة والفرق الباطنية الشيعية المفرطة من الحركات التصوفية، بل عدت هذه الفرق من المذاهب. وبالنسبة لإخوان الصفا تعتبر فلسفتهم المهيمنة على الكفة، وفي العصور اللاحقة ظهرت حركات تصوفية مفرطة ولاسيما من بين الشيعة الإمامية، واعتبرت هذه الحركات نوعاً من الحركات الإسماعيلية او القرامطية الباطنية، تجمع بين الشيعة والتصوف المفرط، وتعتبر هذه الحركات ذات اهمية بالغة من ناحية علاقتها مع التصوف الشيعي بصورة مباشرة.

ويمكن دارسة التصوف عند الشيعة من عدة نواحي: ان القرامطة والإسماعيلية لم تتأثر بالتصوف بل تأثرت الصوفية منهم على الأكثر، ولم تعد مثل هذه الحركات الشيعية التي اثرت على بعض المتصوفين حركات تصوفية مطلقاً. وقد بقيت الزيدية بعيدة عن التأثيرات التصوفية.

ورغم عدم انفتاح الشيعة الإمامية للتصوف، إلا أنه ظهرت حركات تصوفية من بينهم، ويمكن دراسة هذه الحركات حسب ترتيبها الزمني، وتصنيفها حسب قبول الشيعة الإمامية او ردها لها. فقد اقترب الشيعيون للتصوف في عهد خليفة العباسيين ناصر لدين اللّه (٦٢٢–١٢٢٥) ضمن اطار حركة الفتوة التي كانت لها علاقة وثيقة بالتصوف، وقد سهل ميل الخليفة لمذهب الشيعة الإمامية

بالذات، لفتح باب الإنتماء لبعض الإماميين ضمن حركة الفتوة، ولكون الإمام علي رضي اللّه عنه سيد الفتيان شجع هذا الإنتماء ومدته. فالفتوة التي كانت قبل هذه الفترة عنصراً تصوفياً سنياً، لقي القبول من جانب بعض الشيعيين ايضاً بعد هذه الفترة، ولا سيما ان مؤسس الصفويين شاه اسماعيل اهتم بهذه الحركة من الناحية السياسية والعسكرية، وقد كانت لرسائل بعض الكتاب الشيعية المنتمين لحركة الفتوة تأثيراً على الأهالي والمنتسبين لحركة الفتوة في الأناضول. ومع هذا حافظ المتصوفون السنة على مفاهيم الفتوة بعيداً عن التأثيرات الشيعية دائماً. وحركة الملامة التي كانت لها تاثيراً على بعض الحركات الميالة للشيعة مثل القلندرية والحيدرية، تشبه حركة الفتوة، اي لها طابع تصوفي سني من حيث الاساس، ولا تزال محافظة لميزتها هذه، بيد أنها تصبح سبباً لظهور بعض الطوائف الشيعية المفرطة.

حاول التشيع سد ابوابه امام الطرق الصوفية والوقوف حيالها بكل ما اوتى من القوة والإمكانات، ولكنه رضخ واستسلم اخيراً امام انتشار التصوف وتوسعه، وفتح ابوابه على مراصعيه للتصوف، ولم يتمالك الشيعيون انفسهم امام جاذبته. فدخل التصوف الشيعة من سبيلين: أ) عن طريق ميل بعض الشُعب من بعض الحركات التصوفية السنية في عهودها الأولى شيئاً الى الشيعة، وتشيعها فيما بعد بمرور الزمن.ب) عن طريق قبولهم فلسفة التصوف اكثر من السلوك والطريقة، واطلاقهم بعض الأسماء لرجال الفكر من امثال الحاكم، المتألّه، والعارف... ولاسيما ميلهم ورضاهم بفكرة وحدة الوجود.

أ) الطرق الشيعية:

وكما قلنا آنفا انه لم تؤسس اية طريقة في المذهب الشيعي الذي سد ابوابه كافة بإحكام على وجه التصوف، ولكنه تشيع قسم من شعب التصوفية السنية بمرور الزمن نتيجة ميلها الى التشيع، وذلك بعد مرور ثلاث عصور من تأسس الطرق التصوفية السنية، واهم هذه الطرق الشيعية هي:

الصفوية، والقزلباشية: تنسب هذه الطريقة الى صفي الدين اسحاق (٧٣٥– ١٣٣٥) وهي شعبة من طريقة السهروردية، كانت سنية صرفة في بداية امرها، ومالت فيما بعد في زمن خواجه علي سنة(٨٤٠–١٤٣٦) الى الشيعة، واكتسبت ميزة سياسية في عهد الشيخ جنيد. واتخذت طوراً معادياً للسنية في عهد الشيخ حيدر، واصبحت تعرف بعد هذا العهد بالقزلباشية، وفي زمن الشاه اسماعيل تظاهرت ميزتها ذلك بكل وضوح للعيان. فالصفوية ابتدأت حركة سنية وانتهت أمرها مذهباً شيعياً معادياً لأهل السنة، وكانت وسط عهدها حركة تصوفية سنية ميالة للشيعة. وقد فقدت الصفوية ميزتها التصوفية بعد الشاه اسماعيل بسرعة هائلة، لذا لا تذكر في العهود اللاحقة بعد هذا

العهد من التاريخ الشيعي هذه الطريقة. فالصفويون الذين كانوا يستمسكون بالطريقة والتصوف بكل قواهم اصبحوا فيما بعد يضايقون الطرق التصوفية ولا سيما طرق التصوفية السنية، ومنعوا فعالياتهم، وهدموا تكاياهم وزواياهم، وطردوا المولويين من بلادهم. وقد كانت لهذه الظروف تأثيراً بارزاً لتقوية علماء الشيعة، ولتحديد الشروط العسكرية والسياسية للدولة.

٢– **النعمةُ اللّهيّة:** جاءت التسمية نسبة الى الشاه نعمة اللّه (٨٣٤– ١٤٣١) وهي في الأصل شعبة من الطريقة القادرية. والشاه نعمة اللّه كان سنياً مثل شيخه عبداللّه بن اسد اليافعي، وقد هاجر مرة الى الهند من التسلط الشيعي الحاكم في ايران وضغط علمائه ودخل تحت حماية اهل السنة من سلاطين البهمن ، واداموا فعالياتهم هناك. ولكن بقى منتسبو الطريقة في ايران تحت تأثير الشيعة الإمامية فتشيعوا، ومع هذا لم ينجو من الاستبداد، فاضطروا الى تشكيل علاقات جيدة مع رجال الحكم الصفويين ونجحوا في هذا الجانب، وتحركوا بحرية في زمن الزنديين والقجريين. وفي زمن الشاه محمد رضا جعلوا تحت عناية خاصة، لذا تعرضوا لريوب وشبهات بعد الثورة الإسلامية في ايران سنة ١٩٧٩، واتهموا بالعمالة لحكومة ظالمة. وحسب التخمينات انهم يبلغون اليوم نصف مليون نسمة واكثريتهم في ايران، ولا تزال تعتبر الحركة التصوفية الشيعية هذه اكثر فعالية من اي الطرق الأخرى، واساس هذه الطريقة وفلسفتها تستند على فكرة وحدة الوجود.

٣– **الذهبية والنورباشية:** هاتان الطريقتان تستندان الى علي الهمداني (٧٨٦– ١٣٨٥) وتعتبران شعبتين منحدرتين من الطريقة الهمدانية التي هي ضلع من الطريقة الكبروية، فاولها تسند لعبداللّه برزيشآبادي، وثانيتها تسند الى محمد نورباشي (٨٦٩– ١٤٦٨). وكلاهما مريدان لخليفة علي الهمداني، خواجه اسحاق خوتلاني (٨٢٦– ١٤٢٣). دامت النورباشية الى عهد الشاه قاسم فيضي باشا (٩١٧ – ١٥٠٦)، ولا تزال الذهبية محتفظة على هويتها حتى يومنا هذا، ويمثلها الدكتور عبداللّه كنجويان المعروف بـ (حميداللّه اوليا)، والحركة كانت اول عهدها سنيّة، ومالت للشعية فيما بعد، واحتفظت لسنيتها زمناً، واخيراً تشيّعت، واساس الطريقة تستند على فكرة وحدة الوجود. والنعمةُ اللهيّة والذهبية تهتمان معاً للأذكار والأوراد والسَماع.

٤– **الجورية الحسنية:** أسست من قبل حسن الجوري (٧٤٣/١٣٤٢)، وهو خليفة الشيخ خليفة (٧٣٦/١٣٣٥)مريد الشيخ بالو. والطريقة مع شيعيتها تستند الى الطريقة الكبروية، والطريقة مهدت السبيل لتأسيس دولة سربردران في خورسان، وهناك طريقة مماثلة لهذه الطريقة اسست من قبل قوام الدين، الذي هو مريد خليفة حسن الجوري السيد عزيز الدين (٧٨١ – ١٣٧٩) في منطقة مازندران. ولكن كانت حياة هذه الطريقة قصيرة كحياة حكومة سربردران.

٥– **والبكتاشية** كانت شعبة من طريقة اليسويّة السنية، ثم مالت نحو الشيعة، واتخذت فيما بعد

لها طابعاً شيعياً خاصاً، وهي لا تختلف كثيراً عن بقية الطرق المذكورة انفاً، ويدعى أن جذور هذه الطريقة تنتهي في منشأ غير شرعي ولكن هذا الأدعاء لم يثبت لحد الأن، وما اتخذت هذه الطريقة لها من الطابع والميزة فيما بعد، تشبه ميزة وطابع القزلباشية التي هي الطرز الأخير للصفوية.

ب) الطرق الشيعية المفرطة او الباطنية:

١- الحروفية: اسست هذه الطريقة من قبل استرآبادي فضل الله (٨٠٠- ١٣٩٨) واظهرت تأثيرها خلال فترة قصيرة في كثير من البلدان الاسلامية، وعلى الرغم من ظهور بعض الممثلين والرجالات القوية المهمة في هذه الطريقة من أمثال ابن تُركة والسيد نسيمي،و السيد اسحق الاَّ انها عدت طريقة ضالة مضلة من قبل علماء الإمامية الشيعية وعلماء أهل السنة ايضاً. وقد حافظت هذه الطريقة على طابعها المميز ضمن بعض الحركات من امثال القزلباشية والبكتاشية الى حد ما، وهذه الطريقة هي من أهم الطرق الباطنية الشيعية.

٢- **النقطوية:** اسس محمود پاسيهاني (٨٣١- ١٤٢٧) مريد فضل الله الطريقة النقطوية استلهاماً من الطريقة الحروفية في سنة (٨٠٠ - ١٣٩٧)، وظهر الشيخ محمود في الأوساط بالدعوة المهدية،واهتم بالتناسخ والرجعة وعقيدة العناصر الأربع.

٣- **الحيدرية:** تنسب هذه الطريقة الشيعية المفرطة الى قطب الدين حيدر التوني المدفون في تبريز (٨٥٠ - ١٤٢٦)، والحيدريون السنيون المنشأ والمنسوبون الى قطب الدين حيدر زوئي (٥٩٧- ١٢٠٠) هم غير الحيدريين المنسوبين الى قطب الدين حيدر التوني .

٤- **القلندرية او الحق سارية:** على الرغم من ان جمال الدين ساوي (٩٣٠-١٢٣٢) يعتبر مؤسس هذه الطريقة، إلاّ ان اصطلاح ومفهوم القلندرية التي كانت لها فلسفة حياتية خاصة ومشرباً معيناً ، كان موجوداً منذ السابق. وتنسب القلندرية الى جلال الثاني (٧٨٥ - ١٣٨٣) ايضاً، واساساً كان جلال الثاني في سلك طريقة السهروردية والچشتية، ثم مال بتأثير من قطب الدين حيدر العلوي الى القلندرية. واقترب بعد ذلك مريدوه بمرور الزمن من الشيعية، ولم يلبث طويلاً الا واصبح مريدو الحق سارية او الجلالية الذين اعتبروا جلال الثاني شيخاً لهم شيعيين باطنيين.

٥- **اهل الحق:** يتواجد منتسبو هذه الطريقة الباطنية اليوم في كل من لورستان وتبريز وهمدان وموصل وكركوك، يستند منتسبو هذه الطريقة الى سلطان سوحاق الذي عاش في القرن الرابع عشر، ويعدونه شيخاً لهم. تشبه هذه الطريقة من حيث الأركان والشعائر بالمتصوفين واهل الطرق، وبالعلويين والقزلباشيين، لذا يطلق عليهم ايضاً بـ (علي الهيين).

٦- **المشعشاعية:** وهي طريقة شيعية باطنية بدأ بها سيد محمد فلاح (المدعي بالمهدية) (٨٦٦-١٤٢٦) في خوزستان، وكانت تستند عامة على التصوف، وازيلت هذه الطريقة من قبل

قائد حركة اخرى من نفس المستوى. الشاه اسماعيل من الساحة.

العلوية الأناضولية: ان كان الشيغيون يعرفون بأنهم يتخذون سيدنا عليا رضي اللّه عنه وأولاده واحفاده مركزاً للحياة الدينية، فيجب ادخال علويّ الأناضول في عداد الشيعيين بالمفهوم العام. ومن هذا الجانب يجب الأخذ بنظر الأعتبار دور التلقينات التصوفية في حياتهم الدينية، ويمكن ملاحظة هذه العناصر بكل وضوح في الشعراء العلويين.

ان ما عددناها من الطرق من الحروفية والنقطوية والقلندرية والحيدرية والحق سارية، واهل الحق والمشعشاعية والعلوية هي طرق مردودة خارجة عن الشرع من قبل السنيين وشيعة الإمامية والزيدية، لذا يمكن عد هذه الحركات مذاهب واشكال جديدة للباطنية والإسماعيلية والقرامطة، وكل هذه الحركات تُجِّلُ الإمام علي واحفاده إجلالاً فوق الحد وتعتبرهم مركزاً للحياة الدينية، وتختلف هذه الحركات بعضها عن بعض الآخر من ناحية الزمان والمكان وتتقارب في اسس عقائدها، ولاسيما ان حركة القلندرية والحق سارية لهما علاقة وثيقة بالتصوف السني من حيث المنشأ، وقد تأثرت عامة هذه الحركات بالأعراف والعقائد الدينية للأديان السالفة في المجتمعات التي نشأت وترعرعت فيها، علاوة على احتواء كل من تلك الحركات بالعناصر الصوفية الشيعية.

ج) مدرسة اصفهان و الحكمة المتعالة.

إن اهم حركة من بين الحركات التصوفية الشيعية الإمامية هي فلسفة الحكمة المتعالة التي طورها مفكرو الشيعة في اصفهان، وتتخذ هذه الفلسفة كشف التصوف ومنطق الفلسفة وقياسها العقلي واستعدال علم الكلام اساساً لها، وتستند الى المتصوفين السنيين من امثال الغزالي، والسهروردي والحلبي وابن العربي، والى الفلاسفة من امثال ابن سينا، والى علماء علم الكلاَم من امثال فخرالدين الرازي وناصر الدين الطوسي وامثالهم من علماء السنة والشيعة. واساس عقيدتهم كانت هي فكرة وحدة الوجود، ومع هذا كان قسم اخر منهم يهتم بالفلسفة اكثر..

لقد تناول ناصرالدين الطوسي (١٢٧٣/٦٧٢) المتكلم الشيعي لأول مرة بتفصيل وجهات النظر في التصوف، ضمن كتابه اوصاف الأشراف. وقام سيد حيدر آملي (٧٩٤– ١٣٩٢) بادخال التصوف ولاسيما وجهات نظر ابن العربي في الشيعة الإمامية، وقدم شروحات تصوفية للتشيع، وتابعه ابن تركه (٨٣٦–١٤٣٢) في هذا المضمار، ولكن اصبح بهاءالدين آملي هو المؤسس الاساسي لمدرسة الحكمة في اصفهان (١٠٣٠– ١٩٢٢) وقد قام كل من مير داماد (١٠١٤– ١٦٦١) وفهديرسكي (١٠٥٠ – ١٩٦٠) بتقوية هذه الحركة على النطاق الأوسع. وتوصلت المدرسة من قبل الفيلسوف المشهور ملا سدرا (١٠١٠– ١٠٥٠) وتلمذيه (محسن الفياض، وفياض) وصهره، الى اعلى مستواها. وانضم محمد تاقي مجليسي الى هذه الحركة (١٠٧٠ –

١٩٥٩) ايضاً. وقد نشأ علماء اداموا صلتهم بهذه المدرسة في القرن التاسع عشر من امثال آهنود ملا علي نوري (١٢٤٦– ١٨٣٠)، وملا هادي سبزواري (١٢٨٩– ١٨٧٨) وآقا محمد زنوزي (١٣٠٧– ١٨٨٩) وامثالهم من العلماء. وقام محمد حسين طبطبائي بادخال مدارس الحكمة المتعالة في المنهاج الدراسية، ودرس قائد الثورة الإسلامية الإيرانية خميني (١٩٧٩) هذه الدرس فترة من الزمان قبل سنة ١٩٦٣.

كانت مدرسة الحكمة المتعالة، تؤمن انتشار المفهوم الفلسفي بين الجعفريين من ناحية، ومن ناحية اخرى تقوم بوظيفة تعريف المفهوم التصوفي ولاسيما مفاهيم ابن العربي في هذه الأوساط وتأييدها نوعاً ما ، وتهدأ من ضراوة اعتراضات المدارس على الطرق الشيعية من أمثال النعمة اللّهيّة والزهبية. ومع هذا قد اعترضت الشيعة الإمامية والزيدية دوماً وباطراد على الحركة التصوفية المتناقضة اساساً مع المذهب الشيعي.

***